

دار الس

محاضرة في

أصول الأحكام المدنية

سماحة الشيخ

عبد الغزير بن عبد الله بن باز

مفتى عام المملكة العربية السعودية

دار الوطن للنشر



أصول الإيمان

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتى عام المملكة العربية السعودية

دار الوطن للنشر

الرياض - الرمز البريدي: ١١٤٧١ - ص ب ٣٣١٠

٤٧٦٤٦٥٩ - فاكس ٤٧٩٢٠٤٢

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤١٩هـ

مُحَمَّدُ عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ

محاضرة في أصول الإيمان^(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها الأخوة الكرام: حديثي معكم في هذه الكلمة فيما يتعلق بأصول الإيمان، وهذا موضوع اختارتة الجامعة ووافقت عليه؛ لأنّه موضوع مهم جدًا؛ لأن مدار ديننا على هذه الأصول؛ لأنّه سر نجاح الأمة، وسر سعادتها، وسر أمنها، وسر تقدمها، وسر سيادتها على الأمم، إذا حققته في أقوالها وأعمالها وسيرتها وجهادها وأخذها وعطائها، وغير ذلك.

وقد أوضح القرآن هذه الأصول في آيات كثيرة كما أوضحتها نبينا

(١) هذه الرسالة مأخوذه من «مجموع فتاوى ومقالات متعددة» لسمحة الشيخ ابن باز، الجزء الثالث ص ٤٠ - ١٥، وقد نشرت بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

عليه الصلاة والسلام في أحاديث صحيحة ، وهي أصول ستة ، هي أصول الإيمان ، وهي أصول الدين . . فإن الإيمان هو الدين كله ، وهو الإسلام ، وهو الهدى ، وهو البر والتقوى ، وهو ما بعث الله به الرسول عليه الصلاة والسلام من العلم النافع والعمل الصالح ، كله يسمى إيماناً ، هذه أصول ديننا الستة ، أوضحها الكتاب العزيز في مواضع ، وأوضحها رسول الله الأمين في الأحاديث .

فمما ورد في كتاب الله عز وجل قوله سبحانه : ﴿ لَيْسَ الِّرَّأْنَ تُؤْلُوا وُجُوهُكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الِّرَّءَ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَبِ وَالنَّبِيِّنَ ﴾ [البقرة: ١١٧] ، فيبيئ سبحانه وتعالى هنا خمسة من أصول الإيمان ، وهي : الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب ، والنبيين . هذه خمسة أصول عليها مدار الدين ظاهرة وباطنة .

وقال جل وعلا : ﴿ إِنَّمَا الرَّسُولُ يُمَارِضُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكِبَرِيهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

فيبيئ سبحانه وتعالى هنا أربعة أصول في قوله : ﴿ كُلُّهُمْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكِبَرِيهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، ولم يذكر اليوم الآخر ،

ولكنه ذكره في الآية السابقة وفي آيات أخرى ، وهذه سنة الله في كتابه ،
ينوع سبحانه الأخبار عنه عز وجل وعن اسمائه وصفاته ، وعن
أصول هذا الدين ، وعن شئون يوم القيمة ، والجنة ، والنار ، وعن
الرسل وأعمهم ، حتى يجد القارئ في كل موضع من كتاب الله ما يزداد
به إيمانه وعلمه ، وحتى يطلب المزيد من العلم في كل موضع من
كتاب الله ، وفي كل حديث عن رسول الله ﷺ .

وقد أشار عز وجل إلى اليوم الآخر في آخر الآية بقوله:

﴿عَفْرَانَكَ رَسَّا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (١٣٦).

وقال عز وجل : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّكِتَبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ وَمَنْ
يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا﴾ [النساء : ١٣٦] ، فقد أوضح سبحانه في هذه الآية أن
الكفر بهذه الأصول ضلال بعيد عن الهدى .

والأيات في هذا المعنى كثيرة ، وفي مواضع يذكر سبحانه الإيمان
بالله وحده؛ لأن جميع ما ذكر في الآيات الأخرى داخل في ضمن
الإيمان بالله ، وفي بعضها الإيمان بالله ورسوله ، وفي بعضها الإيمان
بالله واليوم الآخر فقط ، وما ذاك إلا لأن البقية داخلة في ذلك ، فإذا

ذكر الإيمان بالله دخل فيه بقية الأشياء التي ذكرها في الآيات الأخرى كالإيمان بالملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر، فمن هذا قول الله جل وعلا: ﴿مَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، فاقتصر على الإيمان بالله ورسوله، والكتاب المنزلي على محمد عليه الصلاة والسلام، والكتاب المنزلي من قبله، ولم يذكر الأصول الأخرى؛ لأنها داخلة في الإيمان بالله.

وهكذا قوله جل وعلا: ﴿فَقَاتَمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلَنَا﴾ [التغابن: ٨] فذكر الإيمان بالله ورسوله والنور الذي أنزل على محمد ﷺ وهو الكتاب والسنة؛ لأن البقية داخلة في ذلك، فالكتاب والسنة داخلان في النور، وهكذا كل ما أخبر الله به رسوله مما كان وما يكون، كله داخل في النور.

وهكذا قوله جل وعلا: ﴿مَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ مَأْمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَيْرٌ﴾ [الحديد: ٧] فذكر الإيمان بالله ورسوله فقط؛ وما ذاك إلا لأن البقية داخلة في الإيمان بالله ورسوله.

ومما جاء في السنة عن رسول الله ﷺ حديث جبريل المشهور لما

سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإسلام والإيمان والإحسان، فذكر الإسلام أولاً، وفي لفظ بدأ بالإيمان ثم ذكر الإسلام ثم الإحسان، فالمعنى مقصود أنه ذكر الإيمان بما يصلح الباطن؛ لأن الباطن هو الأساس، والظاهر تبع للباطن، فسمى الأعمال الظاهرة إسلاماً؛ لأنها انقياد وخضوع له سبحانه، والإسلام هو: الاستسلام لله والانقياد لأمره، فسمى الله سبحانه وتعالى الأمور الظاهرة إسلاماً لما فيها من الانقياد لله والذل له والطاعة لأمره والوقوف عند حدوده عز وجل، يقال: أسلم فلان لفلان، أي: ذل له وانقاد، ومعنى أسلمت الله، أي: ذلت له وانقدت لأمره خاضعًا له سبحانه وتعالى.

فالإسلام هو الاستسلام لله بالأعمال الظاهرة، والإيمان هو التصديق بالأمور الباطنة والظاهرة مما جاء في الشرع المطهر، وهذا كله عند الاقتران، ولهذا لما قرئ بينهما في هذا الحديث الصحيح فسر رسول الله عليه الصلاة والسلام الإسلام بالأمور الظاهرة؛ وهي الشهادتان والصلوة والزكاة والصيام والحج، والإيمان بالأمور الباطنة؛ وهي الإيمان بالله وملائكته . . . إلخ.

ومن هذا الباب ما جاء في الحديث الصحيح؛ قيل: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من

عرفت ومن لم تعرف»، وفي حديث آخر: أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمين من لسانه ويده».

فالإسلام أخص بالأعمال الظاهرة التي يظهر بها الانقياد لأمر الله والطاعة له والانقياد لشريعته وتحكيمها في كل شيء، والإيمان أخص بالأمور الباطنة المتعلقة بالقلب من التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالاليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، ولهذا لما سئل عليه السلام عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره».

فسر الإيمان بهذه الأمور الستة التي هي أصول الإيمان، وهي في نفسها أصول الدين كلها؛ لأنه لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، فالإيمان بهذه الأصول لابد منه لصحة الإسلام، لكن قد يكون كاملاً، وقد يكون ناقصاً، ولهذا قال الله عز وجل في حق الأعراب: ﴿فُلَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

فلما كان إيمانهم ليس بكمال، بل إيمان ناقص لم يستكمل واجبات الإيمان، نفى عنهم الإيمان يعني به الكامل؛ لأنه ينفي عن ترك بعض الواجبات، كما في قول النبي صلوات الله عليه وسلم: «لا إيمان لمن لا صبر له»، وقوله صلوات الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب

لنفسه»، ومنه قول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»، إلى غير ذلك.

والمقصود أن الإيمان يقتضي العمل الظاهر، كما أن الإسلام بدون إيمان من عمل المنافقين، فالإيمان الكامل الواجب يقتضي فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه الله ورسوله، فإذا قصر في ذلك جاز أن ينفي عنه ذلك الإيمان بتقصيره، كما نفي عن الأعراب بقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وكما نفي عن ذكر في الأحاديث السابقة.

والخلاصة أن الله سبحانه ورسوله ﷺ نفي الإيمان عن بعض من ترك بعض واجبات الإيمان، وأثبت الله الإسلام.

فهذه الأصول الستة هي أصول الدين كله، فمن أتى بها مع الأعمال الظاهرة صار مسلماً مؤمناً، ومن لم يأت بها فلا إسلام له ولا إيمان، كالمنافقين؛ فإنهم لما أظهروا الإسلام وادعوا الإيمان وصلوا مع الناس وحجوا مع الناس وجاحدوا مع الناس إلى غير ذلك، ولكنهم في الباطن ليسوا مع المسلمين، بل هم في جانب المسلمين في جانب؛ لأنهم مكذبون الله

رسوله، منكرون لما جاءت به الرسل في الباطن، متظاهرون بالإسلام لحظوظهم العاجلة ولمقاصد معروفة؛ أكذبهم الله في ذلك، وصاروا كفاراً ضللاً، بل صاروا أكفر وأشر منمن أعلن كفره؛ ولهذا صاروا في الدرك الأسفل من النار؛ وما ذاك إلا لأن خطرهم أعظم؛ لأن المسلم يظن أنهم إخوته وأنهم على دينه، وربما أفشى إليهم بعض الأسرار، فضرروا المسلمين وخانوهم، فصار كفرهم أشد وضررهم أعظم.

وهكذا من ادعى الإيمان بهذه الأصول ثم لم يؤد شرائع الإسلام الظاهرة، فلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أو لم يصل، أو لم يصم، أو لم يزك، أو لم يحج، أو ترك غير ذلك من شعائر الإسلام الظاهرة التي أوجبها الله عليه، فإن ذلك دليل على عدم إيمانه أو ضعف إيمانه.

فقد ينتفي الإيمان بالكلية كما ينتفي بترك الشهادتين إجمالاً، وقد لا ينتفي أصله ولكن ينتفي تماماً وكماله؛ لعدم أدائه ذلك الواجب المعين، كالصوم والحج مع الاستطاعة والزكاة ونحو ذلك من الأمور عند جمهور أهل العلم، فإن تركها فسق وضلال، ولكن ليس ردة عن الإسلام عند أكثرهم إذا لم يجحد وجوبها.

أما الصلاة فذهب قوم إلى أن تركها ردة ولو مع الإيمان

بوجوبها، وهو أصح قول العلماء لأدلة كثيرة، منها قوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» أخرجه الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، وقال آخرون: بل تركها كفر دون كفر إذا لم يجحد وجوبها.

ولهذا المقام بحث خاص وعناية خاصة من أهل العلم، ولكن المقصود الإشارة إلى أنه لا إسلام لمن لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا إسلام له، فهذا يدل على هذا، وهذا يدل على هذا، وسبق أن الإسلام سمي إسلاماً لأنه يدل على الانقياد والذل لله عز وجل والخضوع لعظمته سبحانه وتعالى، ولأنه يتعلق بالأمور الظاهرة.

وسمى الإيمان إيماناً؛ لأنه يتعلق بالباطن والله يعلمه جل وعلا، فسمى إيماناً لأنه يتعلق بالقلب المصدق، وهذا القلب المصدق للدلالة على تصديقه وصحة إيمانه أمور ظاهرة، إذا أظهرها المسلم المصدق واستقام عليها وأدى حقها دل ذلك على صحة إيمانه، ومن لم يستقم دل ذلك على عدم إيمانه أو على ضعف إيمانه، والإيمان عند الإطلاق يدخل فيه الإسلام، والعكس كذلك عند أهل السنة والجماعة، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَاهَا عَنْ دِرْكِ الْإِسْلَامِ﴾ [آل عمران: ١٩]، فيدخل فيه الإيمان عند أهل السنة والجماعة،

فإنه لا إسلام إلا بإيمان، فالدين عند الله هو الإسلام، وهو الإيمان، وهو الهدى، وهو التقوى، وهو البر.

فهذه الأسماء وإن اختلفت ألفاظها، فإنها ترجع إلى معنى واحد، وهو الإيمان بالله ورسله، والاهتداء بهدى الله، والاستقامة على دين الله، فكلها تسمى بـ«برًا»، وتسمى إيمانًا، وتسمى إسلامًا، وتسمى تقوى، وتسمى هدى.

وكذلك إذا أطلق الإحسان دخل فيه الأمaran: الإسلام والإيمان؛ لأنَّه يخص الكمال من عباد الله، فإذا طلاقه يدخل فيه الأمaran الأولان: الإسلام والإيمان، وعند إطلاق أحد الثلاثة إذا أطلق فإنه يدخل فيه الآخران. فإذا قيل: المحسنون هم أخص عباد الله، فلا إحسان إلا بإسلام وإيمان، قال تعالى: ﴿وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُعْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْأَذِنَ أَنَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُخْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، فالمحسن إنما يكون محسنًا بإسلامه وإيمانه وتقواه الله وقيامه بأمر الله، فبهذا سمي محسنًا، ولا يتصور أن يكون محسنًا بدون إسلام وإيمان.

وهكذا - يا أخي - لفظ المؤمنين يدخل فيه المسلمين؛ لأنَّهم - أعني المؤمنين - أخص من لفظ المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ

المُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ [الأنفال: ١٩]، وقال عز وجل: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَخْرُجُ مِنْ تَحْنِهَا الْأَنَهَرُ﴾** [التوبه: ٧٢]، فالمؤمن من سمي مؤمناً لتصديقه بقلبه وإسلامه بجوارحه الله وحده، فالمؤمنون مؤمنون بتتصديقهم وبإسلامهم وقيامهم بأمر الله ووقوفهم عند حدوده سبحانه وتعالى.

ومما يدل على هذا المعنى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما سأله النبي ﷺ لما أعطى النبي ﷺ قوماً وترك قوماً، قال سعد: يا رسول الله، أعطيت فلاناً وفلاناً وتركت فلاناً، وإن لأراه مؤمناً، قال النبي ﷺ: «أو مسلماً»، فعاد سعد إلى مقالته، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «أو مسلماً».

والمقصود: أن الإسلام والإيمان عند الاقتران لهما معنيان؛ معنى أخص، ومعنى أعم، فالمسلم أعم من المؤمن، والمؤمن أخص من المسلم، فكل مؤمن مسلم ولا عكس، ولكن عند الإطلاق يدخل أحدهما في الآخر كما سبق بيان ذلك.

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، وفي لفظ: «بضع وستون شعبة»، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدنىها إماتة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» متفق

عليه . فهذا الحديث يدل على أن مطلق الإيمان يدخل فيه الإسلام ، والهدى والإحسان ، والتقوى والبر ، فالإيمان الذي أعلاه كلمة لا إله إلا الله وأدناه إماتة الأذى عن الطريق هو ديننا كله ، وهو الإسلام ، وهو الإيمان ؟ ولذا قال : « فأفضلها قول : لا إله إلا الله » .

وعلمون أن لا إله إلا الله هي الركن الأول من أركان الإسلام مع الشهادة بأن محمداً رسول الله ، فجعلها ها هنا أعلى خصال الإيمان ؛ فعلم بذلك أن الإيمان عند الإطلاق يدخل فيه الإسلام ، وأركانه ، وأعماله ، وهكذا عند إطلاق الإيمان بالله فقط أو الإيمان بالله ورسوله يدخل فيه كل ما شرع الله ورسوله من الصلاة والزكاة والصيام والحجج والإيمان بالملائكة والكتاب والنبيين واليوم الآخر والقدر خيره وشره ؛ لأن هذا كله داخل في مسمى الإيمان بالله ، فإن الإيمان بالله يتضمن الإيمان بأسمائه وصفاته وجوده ، وأنه رب العالمين ، وأنه يستحق العبادة ، كما يتضمن أيضاً الإيمان بجميع ما أخبر به سبحانه وتعالى وشرعه لعباده ، ويتضمن أيضاً الإيمان بجميع الرسل والملائكة والكتب والأنبياء ، وبكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ .

وهكذا ما جاء في السنة في هذا الباب مثل قوله ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم » يدخل فيه كل ما أخبر به الله ورسوله وكل ما شرعه

لعباده .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ أَسْتَقْنَمُوا ﴾ [فصلت : ٣٠] أي قالوا : إلهنا وحالقنا ورازقنا هو الله ، وأمنوا به إيماناً يتضمن الاستقامة على ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

فالقرآن الكريم من سنة الله فيه سبحانه وتعالى أنه يبسط الأخبار والقصص في موضع ، ويختصرها في موضع آخر ، ليعلم المؤمن وطالب العلم هذه المعاني من كتاب الله سبحانه مجملة ومفصلة ، فلا يشكل عليه بعد ذلك مقام الاختصار مع مقام البسط والإيضاح ، فهذا له معنى ، وهذا له معنى .

وهكذا الإيمان يطلق في بعض الموضع ، وفي بعض يعطى عليه أشياء من أجزائه وشعبة تنبئها على أن هذه الشعبة من أهم الحال وأعظمها ، كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءاَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكُوَةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ الآية [البقرة : ٢٧٧] ، فقوله : ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ ﴾ من جملة الإيمان والعمل الصالح ، لكن ذكرهما هنا تنبئها على عظم شأنهما .

وهكذا قوله عز وجل : ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَتُورُ الَّذِي أَنْزَلَنَا ﴾

الآية [التغابن : ٨] ، فالنور المنزلي هو من جملة الإيمان بالله ورسوله ، وهو داخل فيه عند الإطلاق ، ولكن نبه عليه لعظم شأنه .

وهكذا قوله عز وجل : ﴿وَالْعَصْرِ ۚ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي حُشْرٍ ۚ إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ ۚ﴾ [سورة العصر كاملة] ، فالتواصي بالحق والتواصي بالصبر هما من جملة الأعمال الصالحة ، والعمل الصالح من جملة الإيمان ، فعطف العمل على الإيمان من عطف الخاص على العام ، وهكذا عطف التواصي بالحق والتواصي بالصبر على ما قبله ، هو من عطف الخاص على العام ، فالتواصي بالحق والتواصي بالصبر من جملة الأعمال الصالحة ، ولهذا لم يذكر في آيات أخرى ، قال جل وعلا : ﴿إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتُ النَّعِيمِ ۚ﴾ [لقمان : ٨] ، ولم يذكر التواصي بالحق والتواصي بالصبر ؛ لأنهما داخلان في العمل في قوله : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ﴾ ، كما أنهما داخلان في الإيمان عند الإطلاق ؛ لأنّه يدخل فيه عند الإطلاق كل ما أخبر الله به ورسوله عما كان وما سيكون في آخر الزمان وفي يوم القيمة وفي الجنة والنار ، كما يدخل فيه كل ما أمر الله به ورسوله ، ويدخل فيه أيضاً ترك ما نهى الله عنه ورسوله ، وكل ذلك داخل في الإيمان عند الإطلاق ، وإنما يذكر

سبحانه بعض الأعمال بالعطف عليه، وترك بعض السينات بالعطف عليه من باب عطف الخاص على العام.

فهكذا ما يتعلق بأصول الإيمان تارة تذكر هذه الأصول الستة جيئاً، كما في الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ الِّرَّأْسُ إِلَّا مَنْ تُولِّهَا وَجْهُكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]، فإنه ذكر فيها خمسة، وذكر القدر في آيات أخرى، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلُّنَا شَفِيعٌ لِّخَلْقَتِهِ إِنَّمَا يُقْدِرُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ الآية [النحل: ٢٢] إلى غير [القمر: ٤٩]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ الآية [الحديد: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات، وذكر بعضها في آيات أخرى، ولم يذكرها كلها.

وهكذا في الحديث ذكر بعض هذه الأصول، وذكر الستة في حديث جبريل، وفي بعض الأحاديث ذكر الإيمان بالله فقط كحديث: «قل آمنت بالله ثم استقم»، وفي بعضها الإيمان بالله واليوم الآخر، وما ذاك إلا لأن الإيمان بالله واليوم الآخر يدخل فيه كل ما أمر الله به ورسوله، فإن المؤمن بالله واليوم الآخر يحمله إيمانه بذلك على فعل كل ما أمر الله به ورسوله، كما يحمله أيضاً على ترك ما نهى الله عنه ورسوله، ولهذا اقتصر على الإيمان بالله واليوم الآخر في بعض النصوص؛ لأن من آمن بالله إيماناً صحيحاً وبال يوم الآخر حمله

ذلك على أداء ما أوجبه الله عليه ، وعلى ترك ما حرمه الله عليه ، وعلى الوقوف عند حدود الله سبحانه وتعالى ، ومن هذا قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِرِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] .

فالإيمان بما ذكر أمر لابد منه ، ومن لم يؤم من بذلك فإنه كافر بالله عز وجل وإن أظهر إسلاماً وإيماناً ، ولكنه بكفره بوحدة الله من الأصول الستة أو كفره بشيء آخر مما علم من الدين بالضرورة أنه من دين الله بالأدلة المعروفة فإنه يكون كافراً بالله ولا ينفعه بعد ذلك ما أقربه ، فإن هذا الدين لابد أن يقبل كله ، ولا بد أن يحصل به الإيمان كله ، فإذا آمن بالبعض وكفر بالبعض فهو كافر حقاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَرِيدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَيْنِ وَنَكْفُرُ بِعَيْنِ وَرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا ﴾ [النساء : ١٥١ ، ١٥٠] .

وبهذا يعلم المؤمن عظم شأن هذه الأصول وأنها أصول عظيمة لابد منها ، فيدخل في الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه من

أسمائه وصفاته ، أو أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام من أسماء الله وصفاته ، كله داخل في الإيمان بالله ، فيدخل في ذلك الإيمان بأنه رب العالمين ، وأنه الخلاق الرزاق ، وأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويدخل فيه أنه سبحانه وتعالى أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وقدر الأشياء ، وعلم بها قبل وجودها سبحانه وتعالى ، وأنه على كل شيء قادر وبكل شيء عليم .

ومن أجمع ما ورد في ذلك من الكتاب العزيز قوله سبحانه : ﴿فَلَمْ يَكُنْ لِّهِ كُفُورًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ٤] ، وقوله سبحانه : ﴿لَا يَسْكُنُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، وقوله عز وجل : ﴿فَلَا تَضِرُّوا لِلَّهِ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٧٤] ، وقوله عز وجل : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مرim : ٦٥] إلى أشباه هذه الآيات الدالة على كماله سبحانه ، وأنه جل وعلا موصوف بصفات الكمال متزه عن صفات النقص والعيب ، فهو كما أخبر عن نفسه وكما أخبر عنه الرسول محمد عليه الصلاة والسلام له الأسماء الحسنة وله الصفات العلوية .

فواجب على المؤمن أن يؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله من

أسماء الله وصفاته، ويمرها كما جاءت لا يغير ولا يبدل ولا يزيد ولا ينقص، بل يمرها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكليف ولا تأثيل، بل ثبتها كما ثبته السلف الصالح.

فمن ذلك الاستواء، والنزول، والوجه، واليد، والرحمة، والعلم، والغضب، والإرادة، وغير ذلك، كلها صفات الله عز وجل ثببت له سبحانه كما جاءت في الكتاب العزيز، وكما جاءت في السنة الصحيحة، ثبتها له كما ثبته السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، وكما ثبته الرسل عليهم الصلاة والسلام، فنقول: استوى على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته، ليس كما تقول الجهمية استولى، فإنه ليس في موقف المغلوب جل وعلا، فلا أحد يغالبه فهو مستول على كل شيء جل وعلا وفاحر له، ولكن الاستواء صفة خاصة بالعرش معناه العلو والارتفاع فهو عال فوق خلقه مرتفع فوق عرشه، استواءً يليق به سبحانه لا يشابه خلقه في شيء من صفاته جل وعلا، فاستواه أمر معروف كما قال مالك رحمه الله: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، وكما قال ربيعة شيخ الإمام مالك رحمهما الله، وكما قالت أم سلمة رضي الله عنها، وكما قاله أهل السنة والجماعة.

فالصفات معلومة، وكيفها مجهول، والإيمان بها واجب، هذا طريق الصفات كلها: العلم، والرحمة، والغضب، والوجه، واليد، والقدم، والأصابع، وغير ذلك مما جاءت به الآيات، والسنة الصحيحة طريقها واحد، وهكذا حديث النزول تؤمن به وتبثت معناه الله على الوجه اللائق به، ولا يعلم كيفيته سواه، فنقول: ينزل بلا كيف كما يشاء سبحانه وتعالى نزولاً يليق بجلاله وعظمته، لا ينافي علوه وفوقيته سبحانه وتعالى، ولا يشابه نزول المخلوقين.

وهكذا استواءه على العرش لا ينافي علمه بالأشياء وإحاطته بها، وأنه مع عباده، ومع أهل طاعته من عباده بعلمه واطلاعه سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فهذا لا ينافي علوه واستواءه على عرشه، فهو معنا بعلمه واطلاعه، وهو فوق العرش سبحانه وتعالى كما يشاء، وكما أخبر جل وعلا من غير تحرير ولا تكييف، وهو مع أوليائه وأهل طاعته بعلمه وتأييده أيضاً وعناته بهم وكلاء لهم ونصره إياهم.

فهم معيتان، معية عامة تقتضي العلم والإحاطة ورؤيه العباد، وأنه لا تخفي عليه خافية، ومعية خاصة مع أنبيائه وأهل طاعته؛ مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَعَكُمَا أَسْمَعَ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]

وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَّا﴾ [التوبه: ٤٠]، ومثل: ﴿وَأَصْرِرُوا
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأనفال: ٤٦]، إلى أمثالها، وهي معية خاصة
تقتضي الحفظ والكلاءة والتأيد والتوفيق مع العلم والاطلاع، كما قال عز
وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ إِنَّمَا كُثُرُ﴾ [الحديد: ٤].

وليس كما تقول الجهمية والمعتزلة وأشباههم من حلوله في كل
مكان، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

فإله سبحانه وتعاليٰ فوق خلقه وفوق عرشه كما أخبر ، وعلمه
في كل مكان ، وليس مختلطًا بخلقٍ سبحانه وتعاليٰ ، فأهل السنة
والجماعة يدخلون في الإيمان بالله ، الإيمان بكل ما أخبر الله به عنه
ورسوله ، والإيمان بجميع أسمائه وصفاته ، كل ذلك عندهم داخل
في الإيمان بالله عند الإطلاق فيؤمنون به سبحانه ربًا ومعبدًا بالحق ،
كما يؤمنون بأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، يخلق
ويرزق ، ويعطي ويمعن ، ويخفض ويرفع ، إلى غير ذلك من صفات
الكمال ، فهو المعبد الحق ، وهو الخالق العليم ، وهو الرزاق لعباده ،
وهو على كل شيء قادر .

وكل هذه الصفات لا تشبه صفات خلقه ، بل صفاتٍ تليق به عز
وجل ، وصفاتنا تليق بنا ، وصفاته لها البقاء ولها الدوام ولها

الكمال، وصفات العبد لها النقص والاضمحلال، كل هذا داخل في الإيمان بالله عز وجل .

ويدخل في الإيمان بالملائكة: الإيمان المجمل والمفصل، فالملائكة قسمان: قسم نعلمه؛ لأنهم قد سموا لنا، فنؤمن بهم وباسمائهم تفصيلاً، كجبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وملك الموت، وما أشبه ذلك من الملائكة، والبقية نؤمن بأن الله ملائكة كما أخبر عنهم سبحانه وتعالى كما قال عز وجل: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكَرَّمُونَ﴾ [٢٧، ٢٦].

﴿يَسِّيقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٦].

ونؤمن بأنهم أقسام، منهم موكل بنا لحفظ أعمالنا وكتابتها، ومنهم موكل بالسياحة في الأرض يحضورون مجالس الذكر ويستمعون له، ومنهم الذين يتعاقبون علينا ليلاً ونهاراً، ومنهم حملة العرش، ومنهم غير ذلك، وقد جاء في الحديث الصحيح: «أنه يدخل البيت المعمور الذي في السماء السابعة كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم» وهذا يدل على كثراهم وأنهم جنود لا يحصيهم إلا الله عز وجل .

فنؤمن بهم إجمالاً وتفصيلاً وأنهم عباد مكرمون ليسوا بشراً، وليسوا جنّاً، ولكنهم خلق آخر خلقوا من النور، كما في الحديث

الصحيح : « خلقت الملائكة من النور ، وخلق الجن من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » رواه مسلم في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ، وهم يتشكلون كما يشاء الله عز وجل ، ولهم أعمال ، ولهم صفات تليق بهم ، بعضها علمناه من السنة كمجيء جبريل تارة في صورة فلان ، وتارة في صورة فلان ، وتارة في صورته التي خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح ، وتارة في صورة إنسان مجهول لا يعرف لما جاء يسأل عن الإسلام والإيمان إلى غير ذلك .

فالقصد أنهم يتلونون بالألوان التي يريد بها الله جل وعلا ويساءها سبحانه وتعالى ، ولهم خلقة يعلمها الله عز وجل ، وهم لهم أجنحة كما أخبر الله في كتابه العظيم في سورة فاطر ، إلى غير ذلك مما أخبر الله به عز وجل في الكتاب والسنة ، فنؤمن بما جاء في الكتاب والسنة تفصيلاً ، ونؤمن بهم على سبيل الإطلاق والإجمال فيما لا نعلم من شأنهم وصفاتهم .

وهكذا مسألة الكتب ، الباب واحد ، يؤمن المؤمن بكتب الله إجمالاً وأن الله كتبها أنزلها على رسليه وأنبيائه لا نحصيها نحن ، ولكن نؤمن بها إجمالاً ، ونؤمن بما فيها إجمالاً ، أما تفاصيلها وما فيها فإلى الله سبحانه وتعالى ، ومنها ما سمي لنا ، كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور ،

وصحف موسى وإبراهيم، والكتاب العظيم وهو القرآن الكريم، نؤمن بهذه الكتب التي سميّت لنا، وأما ما لم يسم لنا فنؤمن بأن الله كتبها أنزلها على رسله وأنبيائه لا يخصّيها إلا الله جل وعلا ولا يعملها إلا هو، إلا بنص يثبت لنا عن الرسول ﷺ في بيان شيء من ذلك.

وهكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام فيهم تفصيل وإجمال، فنؤمن بهم إيماناً جملأً وأن الله رسلاً أرسلهم إلى الناس، مهمتهم دعوتهم إلى الله كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّنُونَ ﴾ [النحل: ٣٦]، قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فلله سبحانه رسل أرسلهم لعباده مبشرين ومنذرين، أما إحصاؤهم وبيان أسمائهم فهذا إليه سبحانه وتعالى ، لكن جاء في حديث أبي ذر، وجاءت له شواهد من حديث أبي أمامة وغيره ما يدل على أن الرسل ثلاثة وثلاثمائة وبضعة عشر ، لكن أسانيدها لا تخلو من مقال .

أما الأنبياء فقد جاء في إحدى الروايات أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً كلهم أنبياء ، وفي رواية مائة وعشرون ألفاً ، لكن أسانيدها فيها مقال كما تقدم .

والحاصل أن الأنبياء والرسل جم غفير، لكن علم عددهم بالقطع يرجع إلى الله سبحانه وتعالى، وعلينا أن نؤمن إيماناً مجملأً أن الله رسلاً وأنبياءً أرسلوا البيان الحق وإرشاد الخلق، كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّنَّى الَّقَى الشَّيْطَنُ فِي أُمَّتِنَّا ۝﴾ الآية [الحج : ٥٢] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَخْدُرٍ مِنْ رِجَالِ الْكُفَّارِ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ۝﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، وقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۝﴾ الآية [الحديد : ٢٥] ، فالله له رسول كثرون وله أنبياء كثرون لا يخص بهم إلا الله جل وعلا .

إننا نؤمن بذلك إيماناً تفصيلياً وإجمالياً وهم جم غفير، ومهما تهم عظيمة، وهي الدعوة إلى توحيد الله ونفي الناس عن الشرك بالله، وبيان شرائع الله لهم، وأمرهم بما أمر الله به، ونبههم عما نهى الله عنه، هذه مهمتهم .

ونؤمن تفصيلاً بمن سمي منهم، كنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وداود، وسليمان، وهود، وصالح، وغيرهم، وأدم من جملتهم، فقد جاء في بعض الروايات من حديث أبي ذر وغيره أنه نبي مكلم معلم، وجاء في بعضها أنه رسول، وهو لا شك أنه يوحى إليه،

وأنه على شريعة من الله ، وإنما الشك هل هونبي رسول أونبي فقط ؛ اختللت الروايات في ذلك . فالمقصود أن آدم من جملة الأنبياء بلاشك وأنه على شريعة .

وحديث جمع الناس يوم القيمة وتقديم المؤمنين إلى نوح وقولهم له : يانوح ، أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض ، يحتاج به على أن نوحًا أول الرسل ، وأن آدمنبي متكلم فقط ، ولوصح أنه رسول ، فالمعنى أنه رسول إلى ذريته بخلاف نوح ، فإنه أرسل إلى قومه ، وهم أهل الأرض ذلك الوقت ، أما آدم فإنه أرسل إلى ذريته بشرعية خاصة قبل وقوع الشرك ، وأمانوح فقد أرسل إلى قومه وهم ذلك الوقت أهل الأرض جميعاً بعد وقوع الشرك في الأرض ، وبذلك لا يقى تعارض بين كون آدم رسولاً إن صح الحديث ، وبين كون نوح هو أول رسول أرسل إلى أهل الأرض .

وهكذا القول في الأصل الخامس وهو الإيمان باليوم الآخر ، نؤمن به إجمالاً وتفصيلاً ، فنؤمن بما سمي الله من أمر الآخرة ، كالجنة ، والنار ، والصراط ، والميزان ، وغير ذلك ، وما سوى ذلك مما لم يرد في الآيات والأحاديث الصحيحة تفصيله نؤمن به على سبيل الإجمال . وهكذا القدر ، وهو الأصل السادس ، نؤمن به كما جاءت به

النصوص، والإيمان به يشمل أربعة أشياء عند أهل السنة:

الأمر الأول: هو العلم بأن الله سبحانه وتعالى قد علم الأشياء كلها وأحصاها وأنه لا تخفي عليه خافية جل وعلا، فهو سبحانه يعلم كل شيء، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحْكِمُ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾ [التوبه: ١١٥]، وبهذا يرد على غلاة القدرية والمعتزلة الذين أنكروا هذا العلم، قال الشافعي - رحمه الله - في حفهم: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصوموا وإن جحدوه كفروا؛ لأن قولنا: إن الله عالم بالأشياء هذا هو القدر؛ لأن الأشياء لا تخفي على الله، فمتى علم الله بالأشياء فمستحيل أن تقع على خلاف علمه؛ لأن وقوعها على خلاف علمه يكون جهلاً.

أما إن جحدوا ذلك وقالوا: إنه سبحانه لا يعلم الأشياء إلا بعد وجودها، فهذا كفر وضلال وتكذيب لله سبحانه وتعالى، ووصف له بالجهل، وهذا تنقص عظيم يوجب كفر من قاله.

الأمر الثاني: الكتابة، وهو أن الله سبحانه قد كتب الأشياء كما قال عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبَرَّاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي

كِتَبَ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

والمقصود أنه كتب الأشياء كلها جل وعلا كما دلت على ذلك الآيات السابقة، وقوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعشرة على الماء» أخرجه مسلم في صحيحه.

فكتابة الأشياء التي أوجدها سبحانه أو سيوجدها أمر معلوم جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فعلينا أن نؤمن بذلك، ونعتقد أن الله كتب الأشياء كلها وعلمها وأحصاها، لا تخفي عليه خافية، وهو سبحانه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: «لَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

الصر الثالث: مشيته النافذة، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يكون شيء في ملكه دون مشيته جل وعلا، بل ما شاء الله يكون وإن لم يشا الناس، وما لم يشا لم يكن وإن شاء الناس، فلابد إذاً من الإيمان بهذه المشيطة؛ ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن، قال عز وجل: «لَعَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾» [التكوير: ٢٨، ٢٩]، وقال سبحانه: «فَمَنْ شَاءَ

ذَكَرُهُ ﴿٦﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّعْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٧﴾
 [المدثر : ٥٥، ٥٦]

فالقصد أنه سبحانه له المشيئة الكاملة النافذة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢] سبحانه وتعالى .

الأمر الوابع: قدرته على الأشياء وخلقها وإيجاده لها، وأن نؤمن بأنه سبحانه على كل شيء قادر، وأنه الخلاق العليم، وأن جميع الأشياء الموجودة هو الذي خلقها وأوجدها، وهكذا في المستقبل لا أحد يشاركه في ذلك، بل هو الخلاق والرزاق، وهو على كل شيء قادر، وبكل شيء عليم، كما قال سبحانه : **﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾** [الزمر : ٦٢] .

فالإيمان بالقدر يشمل هذا كله ، يشمل إيماننا بعلمه بالأشياء وكتابته لها ، وإيماننا أيضاً بأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وإيماننا أيضاً بأنه الخلاق لكل شيء ، وأن جميع الأشياء هو خالقها وموجدها سبحانه وتعالى .

وفي هذا رد على من قال خلاف ذلك من المعتزلة وغيرهم ، فإن من أنكر مشيئة الله وقال : إنه يوجد في ملكه ما لا يريد ، فهو مكذب لله عز وجل متنقص له سبحانه وتعالى ، فلا بد من الإيمان بأنه على كل

شيء قدير، وأن ما شاءه كان، وما أراده بإرادته الكونية كان، ولكن بعض الناس تخفي عليهم هذه الأشياء، التي جاءت بها الرسل، فيجب أن تبين لهم بأدلةها، وأن يوضح لهم الفرق بين الإرادة الكونية التي لا يختلف مرادها وهي المذكورة في مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ، إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وبين الإرادة الشرعية التي قد يختلف مرادها بالنسبة إلى بعض الناس وهي المذكورة في قوله سبحانه: ﴿بِرُّيْدَ اللَّهُ لِيُبَتِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَّةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

ومعلوم أن بعض الناس مات على جهله ومات على غير توبة، وقال تعالى: ﴿بِرُّيْدَ اللَّهُ أَنْ يُخْفَفَ عَنْكُمْ﴾ الآية [النساء: ٢٨]، هذه إرادة شرعية؛ لأنَّه سبحانه قد خفَّ على قومٍ ولم يخفَ على آخرين، فمعنى ذلك أنه أمر بهذا الرضي به وأحمه، ولكن من الناس من وفق لهذا الشيء، ومنهم من لم يوفق له، ومن ذلك ما جاء في الحديث الصحيح: «أنَّ الله سبحانه يقول يوم القيمة لبعض المشركين: لو كان لك مثل الأرض ذهب أكت مفتدياً به، فيقول: نعم، فيقول الله سبحانه له: قد أردت منك ما هو أدنى من ذلك وأنت في صلب أبيك آدم؛ أردت منك ألا تشرك بي شيئاً، فأبأيت إلا الشرك»، يعني أردت

منك شرعاً لا تشرك بي، وذلك بما جاء على السنة الرسول من الأمر بعبادته وحده، والنهي عن الإشراك به، لكن أبي أكثر الخلق إلا الشرك بالله عز وجل، ولم يقبلوا الإرادة الشرعية.

فمن آمن بهذه الأمور الأربع، وهي : علم الله سبحانه بجميع الأشياء ، وكتابته لها ، ومشيئته لما وجد منها ، وأنه سبحانه خالق الأشياء وموجدها - فقد آمن بالقدر إيماناً كاملاً ، ومن قصر في ذلك فقد قصر في الإيمان بالقدر ولم يسر على هدى أهل السنة والجماعة في ذلك ، ولم يؤمن بالقدر على حقيقته ، بل آمن ببعضه وكفر ببعض .

ثم هذا الإيمان بالقدر لا يلزم منه أن يكون العبد مجبراً لا إرادة له ولا مشيئة ، وإنما هو كالسعفة تحركها الرياح هكذا وهكذا ، وكالريشة في الهواء ، خلافاً للقدريّة المجردة من الجهمية وغيرهم ؛ بل له اختيار ومشيئة ، وله إرادة وعقل يميز به ، ولكن هذه المشيئة وهذه الإرادة وهذا الاختيار لا يكون به شيء إلا بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] وَمَا شَاءَ مِنْهُ أَن يَأْتِيَ
يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [٢٩] [التكوير : ٢٨ ، ٢٩].

فهو مخير ومسير ؛ مخير من جانب ؛ لأن الله أعطاه عقلاً وأعطاه بصراً ، وأعطاه أدلة وأدوات ، ومكنه من الإيمان والعمل ، فهو قادر

وله إرادة وله مشيئة ، يقدر أن يتبعـعـ عن المعصية ، ويقدر أن يطـيعـ وأن يعصـي ، ويقدر أن يتـصـدقـ ، ويقدر أن يمـتنـعـ .

وهو مـسـيرـ من جـهـةـ أخـرىـ ؛ وـهـيـ آنـهـ لـيـسـ لـهـ مـشـيـةـ إـلـاـ بـعـدـ مـشـيـةـ اللهـ ،
وـلـاـ اـخـتـيـارـ إـلـاـ بـعـدـ اـخـتـيـارـ اللهـ ، وـلـاـ يـسـتـقـلـ بـالـأـشـيـاءـ ، فـلـهـ إـرـادـةـ خـاصـةـ
وـمـشـيـةـ خـاصـةـ بـعـدـ مـشـيـةـ اللهـ وـإـرـادـتـهـ ، وـلـهـذـاـ قـالـ عـزـ وـجـلـ : ﴿هُوَ
الَّذِي يُسَيِّرُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الآية [يونس: ٢٢].

فـالـإـنـسـانـ سـائـرـ وـمـسـيرـ وـمـسـيرـ لـاـ خـلـقـ لـهـ ، وـهـوـ سـائـرـ بـمـاـ أـعـطـاهـ اللهـ مـنـ
الـعـقـلـ وـالـاخـتـيـارـ وـالـمـشـيـةـ ، وـمـسـيرـ بـمـاـ سـبـقـ فـيـ عـلـمـ اللهـ مـنـ الـقـدـرـ
الـسـابـقـ ، وـمـسـيرـ لـاـ خـلـقـ لـهـ مـنـ خـيـرـ وـشـرـ ، فـهـوـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـخـالـفـ مـاـ
قـدـرـ اللهـ لـهـ ، وـلـاـ أـنـ يـحـيـدـ عـنـهـ ، وـهـوـ مـعـ ذـلـكـ مـسـيرـ لـاـ خـلـقـ لـهـ ، كـمـاـ قـالـ
الـنـبـيـ ﷺـ : «اعـمـلـواـ ، فـكـلـ مـيـسـرـ لـاـ خـلـقـ لـهـ ، أـمـاـ أـهـلـ السـعـادـةـ
فـيـسـرـونـ لـعـمـلـ أـهـلـ السـعـادـةـ ، وـأـمـاـ أـهـلـ الشـقاـوةـ فـيـسـرـونـ لـعـمـلـ
أـهـلـ الشـقاـوةـ» ، ثـمـ قـرـأـ النـبـيـ ﷺـ : ﴿فَمَنَّا مَنْ أَعْطَنَا وَلَقَنَّا وَصَدَقَ
بِالْمُتَنَعِّنِ فَسَيِّرُ لِلْيَسَرِ﴾ [الليل: ٥-٧] وـالـآـيـةـ بـعـدـهـاـ . مـتـفـقـ
عـلـىـ صـحـتـهـ مـنـ حـدـيـثـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ .

وـمـنـ هـذـاـ يـعـلـمـ المـؤـمـنـ الفـرـقـ بـيـنـ عـقـيـدةـ السـلـفـ الصـالـحـ وـعـقـيـدةـ
الـمـعـتـزـلـةـ وـالـقـدـرـيـةـ النـفـاـةـ وـعـقـيـدةـ الـقـدـرـيـةـ الـمـجـرـةـ .

فالقدرية المجردة غلووا في إثبات القدر حتى قالوا: ليس للعبد إرادة ولا مشيئة، وقد أخطأوا في ذلك وأصابوا في الإيمان بالقدر.

أما القدرية النفا فغلوا في نفي القدر وأفتروا في ذلك وأخطأوا في هذه غاية الخطأ، ولكنهم أصابوا في إثبات المشيئة والاختيار للعبد، وأخطأوا في جعله مستقلًا بذلك، فأهل السنة والجماعة أخذوا ما عند الطائفتين من الحق وتركوا ما عند هما من الباطل.

وهكذا يجب على أهل الحق إذا ردوا على أهل الباطل أن يفصلوا وأن ينصفوا، فيقولوا لهم: قلتم كذا وقلتم كذا، فنحن معكم في هذا، ولسنا معكم في هذا، نحن معكم في الحق الذي قلتموه ك بالإيمان بالقدر، ولسنا معكم بأن العبد مجبور بل له اختيار ومشيئة، ويقال للمعتزلة وأشباههم: نحن معكم في أن العبد له مشيئة واختيار، ولكن لسنا معكم في تجحيل الله سبحانه، وإنكار علمه ومشيئته.

وهكذا يقال للشيعة: نحن معكم في محبة أهل البيت ومحبة علي رضي الله عنه وأرضاه، فإنه ومن سار على نهجه على هدى، وأنه من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ، بل هو أفضلهم بعد الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولكن لسنا معكم في أنه معصوم، ولسنا معكم في أنه الخليفة لرسول الله ﷺ، بل قبله ثلاثة، ولسنا

معكم في أنه يعبد من دون الله ويستغاث به وينذر له ونحو ذلك ، لسنا معكم في هذا ، لا نحن مخطئون في هذا خطأ عظيماً ، لكن نحن معكم في حبة أهل البيت الملتزمين بشرعية الله والترضي عنهم والإيمان بأنهم من خيرة عباد الله عملاً بوصية رسول الله ﷺ حيث قال في حديث زيد بن أرقم المخرج في صحيح مسلم : «إني تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذلوا بكتاب الله وتمسكون به...» ثم قال : «وأهل بيتي ، أذركم الله في أهل بيتي ، أذركم الله في أهل بيتي» .

وهكذا باقية الطوائف نأخذ ما معهم من الحق ونقر لهم به ، ونرد عليهم باطلهم بالأدلة التقليلية والعقلية . .

وبهذا يتضح أن هذه الأصول الستة هي أصول الدين ، وهي الجامعة لكل ما أخبر الله عنه ، فمن استقام عليها عقيدة وقولاً وعملاً ، فقد استكمل الإيمان وسلم من النفاق ؛ لأن هذه الأصول تقتضي من المؤمن بها أداء ما أوجب الله عليه له ولعباده ، وتقتضي تصديقه بكل ما أخبر الله به في كتابه ، أو أخبر به رسول الله ﷺ فيما صح من السنة ، ومن جحدها أو جحد شيئاً منها لم يكن مؤمناً .

والخلاصة أن هذه الأصول أصول عظيمة وقواعد أساسية لهذا

الدين العظيم، تجب مراعاتها والاستقامة عليها في جميع الأحوال، والبراءة من كل ما خالفها، ومن أتى بقول أو عمل يوجب كفره فهو دليل على عدم إيمانه بهذه الأصول أو بعضها الإيمان الصحيح، وذلك مثل ترك الصلاة المكتوبة، فإن الذي لا يصلی لا إيمان عنده - على الصحيح - يحجزه عن ترك الصلاة التي هي عمود الإسلام؛ ولهذا فإن القول الصواب: إنه كافر كفراً أكبر، لقوله ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة» خرجه مسلم في صحيحه، وقوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» خرجه الإمام أحمد وأهل السنة بإسناد صحيح عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه . وهكذا من يستهزء بالله سبحانه أو برسوله ﷺ، أو بالجنة أو النار، أو بالقرآن، وما أشبه ذلك، فإنه كافر إجماعاً؛ لأن هذا الاستهزاء والتنقص دليل على أن دعواه الإيمان باطلة، وأنه ليس عنده إيمان يحجزه عن الاستهزاء بما ذكر .

وهكذا الذي يهين المصحف أو يلطخه بالنجاسة أو يجلس عليه وهو يعلم أنه كتاب الله ، فإن هذا دليل على أن هذا الرجل لا إيمان له، وإنما يدعى الإيمان ، ولو كان عنده إيمان صحيح لحجزه عن هذا العمل الذي يوجب كفره .

وهكذا من استهزاً بالرسل أو كذب بعضهم عليهم الصلاة والسلام يكون كافراً؛ لأن استهزاء بهم أو ببعضهم أو تكذيبه لهم أو بعضهم دليل على أن إيمانه ليس ب صحيح بل هو دعوى.

وعلى هذا يقاس بقية الأمور التي تقع من الناس، ومن ذلك قوم مسيلمة لما صدقوا رسول الله ﷺ وأمنوا به وصلوا وصاموا، ولكنهم ادعوا أن مسيلمة شريك في الرسالة صاروا عند أهل العلم والإيمان من الصحابة ومن بعدهم كفاراً لا نزاع بين أهل العلم في ذلك. ولو صلوا وصاموا وقالوا إن محمدًا رسول الله؛ لأنهم لما قالوا: إن مسيلمة شريك في الرسالة كفى هذا في كفرهم؛ لأنهم بهذا قد كذبوا قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَنْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّنُ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، كما كذبوا الأحاديث الصحيحة المتواترة الدالة على أن رسول الله ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين.

وهكذا القاديانية لما آمنوا بأن غلام أحمدنبي وأنه يوحى إليه، صار من آمن بهم بهذا كافراً أكبر؛ لأنه مكذب لله ورسوله وإن صل وصام وزعم أنه مسلم، وهكذا من لم يؤمن بأن الجنة حق، أو لم يؤمن بأن النار حق، أو قال: إن النار ليست عذاباً لأهلها، بل نعيم لهم، كما يقول ذلك ابن عربي الضال المعروف بالقول بوحدة الوجود.

ولا شك أن هذا إنكار لما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع أهل العلم من كون النار أعدها الله عذاباً لانعيمًا جزاءً لهم على ما فعلوا من الأعمال التي حرمتها الله عليهم، وعلى ما تركوه مما أوجب الله عليهم، وعلى ما كذبوا به مما أخبرت به الرسل ودل عليه الكتاب العزيز، والقرآن مملوء من الآيات الدالة على أن النار عذاب لأهلها، لا ينكر ذلك إلا مكابر معاند، أو جاهل لا يدرى شيئاً مما جاءت به الرسل، أو فاقد للعقل.

ويتبين من هذا أن الأمور تؤخذ أحکامها على ظاهر الكتاب والسنّة، وعلى ما أخبر الله به ورسوله، وعلى ما جاء عن سلف الأمة، ومن أبي ذلك وادعى خلاف ما تقتضيه هذه الأصول فإن دعواه باطلة. وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا للفقه في كتابه وسنة نبيه عليه الصلة والسلام، ويرزقنا وسائر المسلمين الإيمان الصادق والعمل الصالح، وأن يمنحكنا الثبات على الحق حتى نلقاه سبحانه، إنه سميع مجيب. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.



الفهرس

	الموضوع	
الصفحة		
٣	المقدمة	
٤	ما جاء في كتاب الله عن الإيمان	
٦	ما جاء في سنة رسول الله ﷺ عن الإيمان	
١٢	المقصود بالإحسان	
٢٣	ما يدخل في الإيمان بالملائكة	
٢٨	الإيمان وما يشمله عند أهل السنة	
٣٩	الفهرس	



مطويات دار الوطن

العقيدة: الأصول الثلاثة وأدلتها * العقيدة الصحيحة وما يضادها * فضل الإسلام * عقيدة أهل السنة والجماعة * كشف الشبهات * مسائل الجاهلية * الواجبات المتحتمات المعرفة * الدروس المهمة لعلامة الأمة * رسالة في حكم السحر والكهانة * السحر والعين والرقية منها * الحروز العشرة للوقاية من السحر والعين والحسد * التوسل المشروع والمحرم * حكم التوسل بالأولياء * التوحيد أحکام وأقسام .

الفقه: صفة صلاة النبي ﷺ * شروط الصلة وأركانها * لماذا أصلى؟ * أحکام صلاة المريض وطهارته * رسالة عاجلة إلى جار المسجد * الجمعة * الصلاة . . . الصلاة * حكم تارك الصلاة * رسالتان في الزكاة * الوصية * المنوع والجائز في تشيع الجنائز * أحاديث وعظات في فضل التبشير إلى الصلوات * ٣٣ سبباً للخشوع في الصلاة * أنفقوا يا عباد الله * فضل أيام عشر ذي الحجة * صفة الحج والعمرة * يوميات حاج .

للنساء: أحکام لباس المرأة المسلمة وزينتها * خطر البرج والسفور على الفرد والمجتمع * خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله * وقفات مهمة مع المرأة المعاصرة * توجيهات وفتاوی مهمة لنساء الأمة * ٥٠ مخالفة تقع فيها النساء * الغيرة والحياء * الغيرة على الأعراض * من منكرات الأفراح والأعراس * يا ابتي * طريق المسلمة إلى السعادة * باقة ورد ونسرین مهدأة لكل عروسين * أنيقي يا فتاة الإسلام .

الرقائق: حاسبوا أنفسكم قبل أن تخاسبوا * مقدسات القلب الخمسة وأسباب شرح الصدر * أسباب التخلص من الهوى * ٦٠ باباً من أبواب الأجر * الوسائل المفيدة للحياة السعيدة * التحذير من المعاصي * التحذير من الكبائر * الدعاء * الأسباب التي تقي المسلم من السحر والمس والعين * أسباب مغفرة الذنوب * أين الشاكرون .

مطويات متنوعة: للمسافرين * مختصر تفسير الموذتين * وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر * مختارات من محترمات استهان بها الناس * نصائح عامة مهمة * اعرف بيتك .

الشباب: أيها المعاكس قف * أخي الشاب دع الفراغ وابداً العمل .

أكثر من ٠٠٠ إصدار خالد عتبر سنوات منها كتب لساحة الشيخ عبد العزيز بن باز

السعر (١) ريال

عوامل إصلاح المجتمع مع نصائح مهمة محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته
• التعليق على الطحاوية • محاضرة في أصول الإيمان • بيان معنى لا إله إلا
الله • عمل المسلم • واجب المسلمين • أسباب نصر الله • الركن الأول من
أركان الإسلام • العقيدة الصحيحة • رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام
• ثلاث رسائل في الصلاة • الدروس المهمة لعامة الأمة • أخلاق المؤمنين
والمؤمنات • وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر • ثلاث رسائل في
التحذير من البدع • التحذير من الإسراف • مسؤولية طالب العلم • كيفية
صلاة النبي • الجواب المقيد في حكم التصوير • تحفة الأخبار • وجوب التوبة
إلى الله .

السعر (٢) ريال

• وجوب الاعتصام بالكتاب والسنّة ووجوب العمل بسنة الرسول • توحيد
المرسلين وما يضاده من الكفر • الشريعة الإسلامية ومحاسنها • الإسلام هو
دين الله ليس له دين سواه • الأخلاق الإسلامية • الأجوبة المفيدة عن بعض
مسائل العقيدة • العلم وأخلاق أهله • فضل الجهاد والمجاهدين • فتاوى مهمة
تعلق بالعقيدة • فتاوى مهمة تتعلق بالصلاه • التحقيق والإيضاح لكثير من

مسائل الحج والعمرة

توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

الرياض - ١١٤٣١ - ص.ب : ١٤٠٥

الرياض ٤٠٢٢٥٦٤ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦ - جدة : ٦٥٤٩٣٢١

الدمام : ٨٤١٦ - ٦٤ - القصيم : ٣٦٤٤٣٦٦ - المدينة ١٦٩٣